١ ـ تتناول هذه السورة ناحية خاصة ، هى احترام المسلم لنظامه القانونى وهو الشريعة الاسلامية .

ومن المعلوم أن احترام القانون يفرض عادة بالقهر والجبر والجزاء . وان ذلك ليس هو المثل الاعلى فى التزام المجتمع للنظام التشريعى ، وانما المثل الاعلى ، والوضع الامثل فى احترام الناس للقانون ، هو فى ان يكون الأفراد مستجيبون بضمائرهم ودوافعهم الخاصة نحو اعلاء الحق بينهم ورعاية ما فيه الصالح ، وذلك عن رضا وطواعية وتضامن فى الخير . فهذه هى الجماعة المتقدمة الراقية المتمدينة . وذلك هو النظام الكامل الامثل .

٢ ـ وهذا النظام هو الذى تسير عليه الشريعة الاسلامية ، وهو الذى توجه اليه سورة المائدة وتحض عليه . فالشريعة الاسلامية لم تقتصر على وضع النظام الاجتماعى الذى يحكم علاقات الناس ومعاملاتهم . بل ربطت بين حب الانسان للمجتمع الذى يعيش فيه واستجابته له وتعاونه مع الناس على الخير وبين العقيدة والايمان . وجعلت مخالفة الشريعة من الذنوب والآثام التى يحاسب الانسان عليها ، فضلا عن جزائه الدنيوى . وجعلت لكل التزام حكمين ، حكم من حيث أثره المترتب عليه ، وحكم من حيث تحليله وتحريمه . كما شرعت الكثير من الالتزامات الأدبية التى لا دائن لها والتى تؤدى حسبة فتعتبر بذلك محكا صادقا للايمان . وذلك كقول الرسول عليه الصلاة والسلام ان اماطة الاذى من الطريق من أدنى شعب الايمان ، اذ أن الفاعل لذلك انما يؤديه عن محبة للمجتمع واستجابة له ، دون أن يخشى دائن يطالبه به أو مخاصم يداعيه أمام القضاء . فهو من أبواب الايمان . وذلك أيضا كالتزامات الصيد المذكورة فى هذه السورة .

يقلم: الدكتور
مصطفى كمال وصفى

* * *

٣ ـ وقد عمدت سورة المائدة الذى ذكر هذه الأصول فى ثنايا سردها لبعض أحكام الشريعة الاسلامية . فمضت بين الفينة والأخرى ، وبين كل فقرة أو حكم تورده من أحكام الشريعة ، تذكر شيئا عن أن الوفاء

بذلك من أسباب الايمان ، ونقضه مجلبة لغضب الله ومدعاة لفساد القلب ، وأن من الامم ما كفر بسبب عدم طاعتهم واستجابتهم لشريعتهم وأولياء أمورهم وأن على المسلمين أن يحرصوا على اتباع دينهم الذى من الله به عليهم ، وأكمل به نعمته عليهم .

وقد وردت هذه المعانى الشريفة كالمقاطع أو اللوازم بين ما ورد فيها من الاحكام الشرعية ، خاصة باحترام الحجيج وشعائره وما يحل أكله والوضوء والطهارة والحرابة والسرقة ، وعلاقة المسلمين بغير المسلمين - أفرادا أو أمما - واحترام اليمين وعدم الحنث به والوصية والصيد .

ومن الملاحظ أن هذه الاحكام الشرعية يجمعها جامع واحد ، وهو انها تعتمد على الايمان وحسن العقيدة . فبعضها التزامات أدبية محضة يؤديها العزيز بمحض قدرته وعن طواعية ، وبعضها الآخر يخاطب بها من يقدر على مخالفتها بلا لائمة الا من ضميره وحسن خلقه .

فأما احترام الحجيج ، وعلاقة المسلمين بغير المسلمين ، فهى التزامات تخاطب بها الامة جمعاء ، والأمة فى مجموعها عزيزة لا يردعها عن المخالفة الا رعاية الله .

وأما احترام اليمين والوصية واليمين والصيد ، فهى التزامات بلا دائن فمبناها التقوى .

وأما الحرابة والسرقة فهى أعمال يأتيها من لا يقدر عليه السلطان عادة ولذلك فهى تعتمد أيضا على الوازع .

وكذلك الوضوء وطهارة المأكل ، فالانسان فيهما رقيب على نفسه وهما من الشعائر الحافظة الواقية التى يصلح بها سائر تصرفات الانسان وتقية ، ومن المداخل التى يقى بها الانسان نفسه من فساد القلب وغلبة الشيطان .

والآية التى استهلت بها السورة تفتق ذهن المسلم الى مدى اتساع شريعته ، وأنها ليست قاصرة على احترامه للناس ، بل كذلك ما يجب عليه فى شأن الحيوان بأنواعه .

فقد جاءت هذه الآية بقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم . غير محلى الصيد وأنتم حرم . ان الله يحكم ما يريد » . (المائدة١)

* * *

٤ - وبيانا لأن مخالفة أحكام الشريعة هى اثم وذنب ، ويترتب عليها

فساد القلب وغضب الله ولعنته ، مهدت السورة الكريمة بقولها عن بنى اسرائيل ، بعد أخذ الله ميثاقهم بأن يقيموا أحكام الدين ،« **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية** » (المائدة١٣) وعن النصارى « **ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** » (المائدة ١٤) ووصف الله من لعنه وغضب عليه بأن « **جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت** » (المائدة ٦٠) أى الذين (وان كانوا على صورتهم الآدمية) ولكن انحطت نفوسهم فصاروا فى مدارك هذه الحيوانات المنغمسة فى شهواتها ، أو الذين يقدسون الطاغية الظالم وكأنهم يعبدونه . « **ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** » (المائدة ٦٦) وأدى ذلك بهم الى الكفر بأن قالوا ان الله هو المسيح بن مريم هو الله . (المائدة ٧٢) والذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة (المائدة ٧٣) مع أن ذلك كذب يسأل الله المسيح عنه فيكذبه (المائدة ١١٧) .

وقد ضربت السورة مثلين يوضحان أن مخالفة الأوامر أثم . وان الباعث عليه عيب فى النفس وشوائب فى الخلق . وذلك تقوية لبيان الصلة بين الظاهر والباطن وارتباطهما ، وان الشريعة والحقيقة شقان متكاملان لا انفصال بينهما .

المثل الأول ، مستمد من واقعة عصيان بنى اسرائيل لولى أمرهم (موسى) اذ أمرهم بالقتال فرفضوا . وكان ذلك عن جبن مزر مشين محط بالكرامة . فقد ردوا على موسى بقولهم « يا موسى ان فيها (فى الأرض التى يطلب منهم غزوها) قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها . فان يخرجوا منها فانا داخلون » (المائدة ٢٢) وبقولهم « يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » (المائدة ٢٤) وكان ذلك العصيان من أسباب غضب الله عليهم وعمت به البلوى اذ تاهوا جميعا - الصالح منهم والطالح - ومات موسى عليه السلام فى التيه .

والمثل الثانى ، واقعه فسوق قابيل عن شرعته ورغبته فى أن يتزوج من هى محرمة عليه . فسبب هذا الفسوق هو الشهوة والكبرياء .

هذه الواقعة تبين ان الجرم انما يعتبر اعتداء على المجتمع كله ، وان الجريمة انما توجه ضد المجتمع كافة فقال « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا . ولقد جاءتهم

رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون » . (المائدة ٣٢) .

* * *

٥ - وهذه الفكرة الأخيرة - فكرة تأثر المجتمع كله بالعـــدوان أو الاستهتار بالشريعة - رددت السورة الكريمة معانى التضامن الاجتماعى فى النظام والغيرة على الصالح العام .

فأمر الله الناس بقوله « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونـــوا على الاثم والعدوان** »(المائدة ٢) وفى مجال عدم غيرة الافراد على التناصـــح قال : « **لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** » .) المائدة ٧٨ و ٧٩) وقد أخبر رسول الله عما أهلك الناس من قبلنا فقال :« **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه** » .

والواقع أن عدم التناصح هو من ظواهر تفكك المجتمع وانهياره . وهو من قبيل عدم التعاون على البر والتقوى ، والتعاون على الاثم والعدوان . فهو يسمح لكل فرد ان يسدر فى هواه ويسرف فيه . فلا الصغير يخاف لائمة الكبير ، ولا الكبير يستحى من الصغير أو يوفيه حقه من التقـــويم والنصح . فينهار المجتمع . وسبب ذلك هو كبرياء الناس وغضبهم من النصح ، ثم رغبتهم فى أن يسهل كل منهم لنفسه طريق الاثم . وعند ذلك لا يجد الانسان لنفسه - كما قالت السورة (الآية ١٠٥) الا ما قاله الله « **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم** » ..

* * *

٦ - هذه هى بعض المعانى المنيرة التى أوضحتها السورة : فبينت اذن مضار الفسوق ، وأنها تمتد الى أعماق النفوس فتفسدها ، وتتجاوب بها ارجاء المجتمع فتحطمها .

وهذا ما يجعل المسلم يغض على دينه بالنواجذ . فليست المصيبة مصيبته وحده اذا فسق . بل هى مصيبة المجتمع كله .

ولبيان فضل الدين ، ووجوب تقدير نعمة الله باهدائه الى الناس قال الله فى هذه السورة الكريمة « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » . (المائدة) وقال « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون (المائدة ٦) وهذا الشكر يكون بالقيام بحق الشريعة فى الطاعة لها والرضا بها .

وقد خاطب الله المؤمنون - بعد ما طاف بهم بالمعانى السابقة - يحثهم على أسباب احترام الدين ، وهى تقوم على تطهير الباطن وحفظه : فقال « **يا أيها**

الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا » (المائدة ٧٨) أى تكونوا وسطا ولا تغلوا الى أحد الطرفين . « **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله** » (المائدة ٨٨) لأن الأكل الحلال من أهم أسباب حفظ القلب وطهارته وحسن السلوك الى الله وتقواه . وبالعكس فان الأكل الحرام والخمر والميسر من أسباب الفساد والاجرام فقال الله « **يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا . فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين** » .

هذه اذن سورة ذات موضوع كامل . تتناول مسألة من أدق وأهم المسائل الاجتماعية . وتشرح تضامن المجتمع فى الحق وأسباب الطاعة ومنافعها ، وأسباب العصيان ومضاره . وتقيم نظرية مثلى فى احترام المجتمع للقانون ، وأساس هذا الالتزام . وتضرب الامثلة فى دوافع العصيان ومغبته .

والواقع ان احترام النظام والقانون من الايمان . لان الايمان تصديق وتسليم والكفر تمرد وعدوان . ويبدأ الانسان بالتمرد على السلطة الطبيعية الاولى عليه وهى سلطة الابوة . ولذلك قرن الله العبادة بطاعة الوالدين . ثم يعقب الانسان على تمرده مع والديه ، تمرده مع أولى الامر ثم النظام ذاته . ثم يخرج الى نقد واضع النظام ومقيم الناس فى أحوالهم فيتنكرون له ويكفرون به .

نسأل الله حسن العاقبة فى الايمان .

مصطفى كمال وصفى .
مستشار مساعد بمجلس الدولة

فقيد آل البهى

استأثرت رحمة الله بشقيق الاستاذ السيد أحمد كامل البهى . خليفة المقام الاحمدى .

وأسرة المجلة تشاطر السيد أحمد مصابه الاليم ، وتسأل الله أن يلهم آل الفقيد الصبر الجميل ، وأن يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه